والذي انقدح لي : أن التمثيل جرى على تشبيه حال الكافر والمؤمن بحالة مشي إنسان مختلفة وعلى تشبيه الدين بالطريق المسلوكة كما يقتضيه قوله (على صراط مستقيم) فلا بد من اعتبار مشي المكب على وجهه مشيا على صراط معوج وتعين أن يكون في قوله (مكبا على وجهه) استعارة أخرى بتشبيه حال السالك صراطا معوجا في تأمله وترسمه آثار السير في الطريق غير المستقيم خشية أن يضل فيه بحال المكب على وجهه يتوسم حال الطريق وقرينة ذلك مقابلته بقوله (سويا) المشعر بأن مكبا أطلق على غير السوي وهو المنحني المطاطئ يتوسم الآثار اللائحة من آثار السائرين لعله يعرف الطريق الموصلة إلى المقصود .

فالمشرك يتوجه بعبادته إلى آلهة كثيرة لا يدري لعل بعضها أقوى من بعض وأعطف على بعض القبائل من بعض فقد كانت ثقيف يعبدون اللات وكان الأوس والخزرج يعبدون مناة ولكل قبيله إله أو آلهة فتقسم الحاجات عندها واستنصر كل قوم بآلهتهم وطمعوا في غنائها عنهم وهذه حالة يعرفونها فلا يمترون في نهم مضرب المثل الأول وكذلك حال أهل الإشراك في كل زمان .

ألا تسمع ما حكاه ا عن يوسف عليه السلام من قوله (أأرباب متفرقون خير أم ا الواحد القهار) . وينور هذا التفسير أنه يفسره قوله تعالى (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقوله (قل هذه سبيلي أدعو إلى ا على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان ا وما أنا من المشركين) فقابل في الآية الأولى الصراط المستقيم المشبه به الإسلام بالسبل المتفرقة المشبه بها تعداد الأصنام وجعل في الآية الثانية الإسلام مشبها بالسبيل وسالكه يدعو ببصيرة ثم قابل بينه وبين المشركين بقوله (وما أنا من المشركين) .

فالآية تشتمل على ثلاث استعارات تمثيلية فقوله (يمشي مكبا على وجهه) تشبيه لحال المشركين في تقسم أمره بين الآلهة طلبا للذي ينفعه منها الشاك في انتفاعه بها بحال السائر قاصدا أرضا معينة ليس لها طريق جادة فهو يتتبع بنيات الطريق الملتوية وتلتبس عليه ولا يوقن بالطريقة التي تبلغ إلى مقصده فيبقى حائرا متوسما يتعرف آثار أقدام الناس وأخفاف الإبل فيعلم بها أن الطريق مسلوكة أو متروكة .

وفي ضمن هذه التمثيلية تمثيلية أخرى مبنية عليه بقوله (مكبا على وجهه) بتشبيه حال المتحير المتطلب للآثار في الأرض بحال المكب على وجهه في شدة اقترابه من الأرض .

وقوله (من يمشي سويا) تشبيه لحال الذي آمن برب واحد الواثق بنصر ربه وتأييده وبأنه مصادف للحق بحال الماشي في طريق جادة واضحة لا ينظر إلا إلى اتجاه وجهه فهو مستو في سيره

.

وقد حصل في الآية إيجاز حذف إذ استغني عن وصف الطريق بالالتواء في التمثيل الأول لدلالة مقابلته بالاستقامة في التمثيل الثاني .

والفاء في صدر الجملة للتفريع على جميع ما تقدم من الدلائل والعبر من أول السورة إلى هنا والاستفهام تقريري .

الشيء في المصير لإفادة أصلها فيه فالهمزة كب ذا صار إذا أكب من فاعل اسم : والمكب A E مثل همزة : أقشع السحاب إذا دخل في حالة القشع ومنه قولهم : أنفض القوم إذا هلكت مواشيهم وأرملوا إذا فني زادهم وهي أفعال قليلة فيما جاء فيه المجرد متعديا والمهموز قاصرا .

و (أهدى) مشتق من الهدى وهو معرفة الطريق وهو اسم تفضيل مسلوب المفاضلة لأن الذي يمشي مكبا على وجهه لا شيء عنده من الاهتداء فهو من باب قوله تعالى (قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه) في قول كثير من الأيمة . ومثل هذا لا يخلو من تهكم أو تمليح بحسب المقام .

والسوي : الشديد الاستواء فعيل بمعنى فاعل قال تعالى (أهدك صراطا سويا) . و (أم) في قوله (أمن يمشي سويا) حرف عطف وهي (أم) المعادلة لهمزة الاستفهام . و (من) الأولى والثانية في قوله (أفمن يمشي مكبا) أو قوله (أمن يمشي سويا) موصولتان ومحملهما أن المراد منهما فريق المؤمنين وفريق المشركين وقيل : أريد شخص معين أريد بالأولى أبو جهل وبالثانية النبي A وأبو بكر أو حمزة Bهما .

(قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون [23])